



تاسيس ٢٧ ديسمبر ١٨٧٥ - اصدار العدد الاول ٥ اغسطس ١٨٧٦ - سليم و بشارة تقلا

الأثنين 19 من ذو الحجة 1435 هـ - 13 أكتوبر 2014 السنة 139 العدد 46697

## فكرة من زمن «الأربعينيات»

د. هالة أحمد زكى

هذه فترة أخرى مهمة فى تاريخ مصر المحروسة... وأعنى الزمن الممتد من العشرينيات إلى نهاية الأربعينيات من القرن العشرين حين كانت للمجتمع المصرى صورة شديدة التحضر والرقى بشكل غير مسبوق والمدهش انه لم يتوقف عنده كثيرون .

فهناك قضية ربما تغيب عن ذهن المصريين... و اعتبرها حلاً للغز بكامله الخاص بمستقبل مصر. فلا يمكن أن نتعرف على المستقبل دون أن نقرأ أوراق الماضى وهذا ليس للعبرة، ولكن لفهم شخصية مصر والمصريين الحقيقية.

تاريخ مصر ليس تاريخ احباط واحتلال وجرى وراء أحلام كاذبة لم يتحقق فى الواقع الا الحد الأدنى منها، فالعكس هو الصحيح . ولا أعرف لماذا يغفل المسؤولون عن التعليم هذه الحقائق فى الكتب المدرسية التى غالباً تحكى قصة الحاكم بعيداً عن المحكوم وكأن تاريخ مصر كلها اختزل فى معركة أو حاكم أو معارضة محتل.

والأولى بالمعرفة هو تاريخ الشوارع والناس والانجاز الحضارى الذى لم يغيب عن مصر حتى فى أحلك الظروف . فلا أحد يتوقف عند المجتمع فى مصر القديمة لنعرف كيف بدأت مصر، ولا أحد يقول لنا شيئاً عن المسيحية التى حافظت على الهوية المصرية ، ولا أحد يعرفنا بعلماء المسلمين الذين عاشوا فى بر مصر. والأكثر من هذا اننا دأبنا على اسدال ظلال كثيفة سوداء على أيام الحكم المملوكى العثمانى دون التفات للمجتمع المصرى الذى عرف حراك الثورات بدليل ثورة 1785 ضد إجراءات مراد بك، المملوك الذى حاول التصدى للحملة الفرنسية ولكنه لم يستطع أن يواجه المتظاهرين حين أفتى الشيخ دردير شيخ الأزهر الشريف وقتها بأن يرد المصريون العدوان بالمثل ويحصلوا على ممتلكات المماليك.

ولهذا عندما نربط بين النهضة المصرية والحملة الفرنسية نكون قد تجاهلنا تاريخاً كبيراً لمصر ولصورتها الحضارية التى لم تهتز يوماً، فقد ظلت مصر فى الداخل حية يقظة وكان بها علماء و أدباء و أصحاب مطالب استقلالية، والا كيف - وكما قال لى المؤرخ الكبير **د. رؤوف عباس** - يستطيع الفلاح المصرى وفى غضون سنوات قليلة منذ تكوين الجيش المصرى على يدى محمد على أن يهدد أوروبا وهو ما لم تستطعه قوة أخرى فى الشرق.

مجرد خواطر تسبق التعريف بجماعة النهضة القومية التى ولدت فى السابع عشر من أكتوبر عام 1944، وكانت - والعهد على المؤرخ الكبير **د. رؤوف عباس** - جماعة سياسية تتبنى برنامجاً إصلاحياً للنهوض بمصر عشية انتهاء الحرب العالمية الثانية. وكان من رجالها المفكر المصرى الكبير أحمد لطفى السيد و بهى الدين بركات باشا - واحد من ثلاثة أوصياء على عرش مصر بعد الثورة - ود. إبراهيم مذكور عضو مجلس الشيوخ وصديقه مريت غالى عضو مجلس النواب والكاتب محمد زكى عبد القادر وعبد الملك حمزة عضو الحزب الوطنى السابق و محمد سلطان رجل الأعمال و د. وديع فرج أستاذ القانون المدنى. فالحرية كانت قضية مصر قبل ذلك الزمن حين كتب الشيخ رفاعة الطهطاوى يقول: «إن الحرية هى الوسيلة العظمى فى إسعاد أهالى الممالك. فإذا كانت الحرية مبنية على قوانين حسنة عدلية كانت واسطة عظمى فى راحة الأهالى وإسعادهم فى بلادهم. وكانت سبباً فى حبهم لأوطانهم».

<http://www.ahram.org.eg/NewsQ/330836.aspx>